متى ظهر الانسان على الارض

في هذه المسألة قولان الاول ان الانسان ظهر على الارض فجأة بالعجوبة الهية منذ زمن بعيد او قريب حسب ما في اديان المعتقدين هذا الاعتقاد من النصوص . فان بعض الاديان تبعد زمن ظهور الانسان ربوات من السنين عن عصرنا الحاضر وبعضها يجعل ظهوره منذ نحو ستة آلاف سنة او سبعة آلاف . والقول الثاني ان الانسان نشأ نشوءا بالارتقاء مثل سائر انواع الحيوان والنبات إما بالعجوبة الهية او بناموس الارتقاء المودع في الطبيعة وقد كان نشوءه هذا اما في اوائل الدور الثلاثي من الادوار الجيولوجية واما في اواخره وهو في الحالين قديم جداً لا يقاس بالسنين . ومن القائلين بالقول الاخير الاستاذ دوكنس الجيولوجي الانكليزي استاذ الجيولوجيا والبليتولوجيا في جامعة منشستر . وقد خطب بالامس في المجمع الانثروبولوجي الملكي خطبة موضوعها وصول الانسان الى بريطانيا فقال ان الحيوانات اللبونة العليا او ذوات الثدي ظهرت في الدور الثلاثي من الادوار الجيولوجية وبقي في طبقات ارضه من آثارها ما يمكننا من تتبعه الى ستة عصور وهي

اولاً عصر الايوسين (Eocene) اي الفجر الحديث وفيه آثار طوائف الحيوانات اللبونة الموجودة الآن على وجه الارض ولكن ليس فيه آثار الاجناس اي لم تكن الحيوانات اللبونة قد انقسمت الى اجناسها المعروفة الآن لما كانت الارض في ذلك العصر

والثاني عصر الميوسين (Miocene) اي الاقل حداثة وفيه آثار الاجناس من الحيوانات اللبونة وليس فيه آثار انواعها اي لم تكن الانواع الموجودة الآن قد ظهرت في ذلك العصر

والثالث عصر البليوسين (Pliocene) اي الاحدث وفيه كثير من آثار الاجناس الموجودة الآن وقليل من آثار الانواع الموجودة الآن

والرابع عصر البليستوسين (Pleistocene) وانقلب فيه آثار الانواع الموجودة الآن وثقل آثار الانواع المنقرضة . وفيه ايضاً آثار الانسان البليوليثي (Palæolithic) اي الحجري القديم او الذي كان يستعمل اسلحته وادواته من حجارة الصوان حسبما يجدها في حالتها الطبيعية من غير ان يهذبها

والخامس العصر السابق للتاريخ وليس فيه آثار نوع من الانواع المنقرضة وتدل آثار

الانسان فيه على انهُ كان قد ارتقى في تهذيب آلاتهِ وادواتهِ الحجرية وصار يستعمل النحاس والحديد

والسادس عصر التاريخ الذي اودع الناس فيهِ اخبارهم بطون التاريخ

وبهذا التقسيم تكون الحيوانات اللبونة شبه شجرة اصلها غائر في الدور الثاني من الادوار الجيولوجيَّة واغصانها منتشرة في الدور الثلاثي في كل عصر من عصوره . شجرة اثمارها الاحياء الموجودة الآن على وجه البسيطة والفصول التي بين هذه الاحياء تملأها انواع منقرضة تقرب منها وبيدًا وبيدًا باقترابها من عصرنا الحاضر . فاذا اردنا ان نبحث عن اقدم آثار الانسان الذي هو ارقى انواع الحيوانات اللبونة لم نتوقع ان نجدها حيث لا توجد آثار الانواع العائشة الآن اي في العصر الاول والثاني من عصور الدور الثلاثي اي لا في الايوسين ولا في الميوسين . وقد يجوز لنا ان نفتش عن آثار الانسان في العصر الثالث اي في البليوسين حيث توجد آثار بعض الانواع العائشة الآن والامل بوجودها فيهِ ضعيف جدًّا . ويحق لنا ان نبحث عن آثارهِ في العصر الرابع اي عصر البليستوسين حيث كثرت الاجناس الموجودة الآن وصار وجه الارض كما هو الآن تقريبًا

واذا كان مذهب النشوء صحيحًا فلا محل للانسان في عصر الايوسين ولا في عصر الميوسين ولو وجد في ذينك العصرين او في احدهما لانقرض نوعهُ عن وجه البسيطة كما انقرضت انواع الحيوانات التي كانت فيهما او لتغير تغيرًا كبيرًا حتى لم يبقَ كما كان . وكل ما يعلم حتى الآن من آثار الحيوان في الارض يدل على ان الانسان لم يوجد فيما قبل العصر الرابع من عصور الدور الثالث اي عصر البليستوسين . وقد وجدت قطع من الظران مثل القطع التي استعملها الانسان في طبقات العصر الاول والثاني والثالث فاستدلَّ المسيو روتو منها على ان الانسان وجد في تلك العصور ولكن مباحث المستر ورن في بلاد الانكليز والمسيو برول والمسيو بروبل في فرنسا دلَّت على ان تلك القطع الصوانية تشققت بفعل طبيعي فلا داعي لان نفرض ان يد الانسان شققتها

واقدم آثار الانسان التي وجدت حتى الآن الجمجمة وعظمة الفخذ اللتان وجدهما المسيو دبيوى سنة ١٨٩٤ في جزيرة جاوى في طبقة من طبقات عصر البليستوسين وقال انهما من عظام حيوان منتصب القامة متوسط بين الانسان وارقى انواع القرود وهو اقرب الى الانسان من حيث اتساع دماغهِ وانتصاب قامتهِ فهو الحيوان الذي سبق ظهورهُ ظهور الانسان الحقيقي ان لم يكن هو بداءة الانسان الحقيقي وقد ظهر في العصر الذي ينتظر

ظهوره فيهِ بالقياس على غيره من الانواع الحيَّة الآن وفي مكانٍ اقليمهُ يوافق الاقليم الذي استدلَّ العلماء على أن ظهور الانسان يجب ان يكون فيهِ فهو الانسان الاول . وقد وجد كثير من آثار الانسان وادواتهِ في البلدان التي بين بحر الروم وبحر البلطيك ومعها عظام الحيوانات التي كانت عائشة في العصر الرابع . ويظهر من هذه الآثار ان الناس كانوا حينئذٍ طائفتين طائفة تسكن ضفاف الانهر وقد بقيت آثارها تحت ما جرفتهُ الانهر من الاتربة والحصى وطائفة تسكن الكهوف وقد بقيت آثارها مطمورة فيها . والطائفة الاولى اقدم واخشن والثانية احدث واملس وقد كانت على جانب من الذوق الصناعي فبلغت في رسومها ونقوشها ما يرى في كهوف فرنسا والشمال الغربي من اسبانيا

وكانت قارَّة اوربا في العصر الرابع متصلة بقارة افريقية في جبل طارق وجزيرة صقلية ومتصلة باسيا الصغرى في مرتفع بحر اجيا وفي الدردنيل . وكانت انكلترا متصلة بفرنسا والمانيا والثلوج تغطي الجبال العالية وتزحف على سفوحها كالانهر وكان الصيف في اوربا شديد الحر والشتاء شديد البرد فانتشرت الحيوانات القوية في اوربا من الجنوب ومن الشرق والشمال الشرقي في اواخر العصر الثالث واوائل الرابع واستولت على مراعي حيوانات العصر الثالث

وتنقسم الحيوانات التي دخلت اوربا حينئذٍ الى ثلاثة اقسام حسب الاماكن التي تقيم فيها الآن الاول حيوانات الاقاليم المعتدلة والثاني حيوانات الاقاليم الشمالية او الباردة والثالث حيوانات الاقاليم الجنوبية او الحارة . والقسم الاول يشمل الحيوانات البرية العائشة الآن في جنوبي اوربا واواسطها وقد انتهى على الراجح من اواسط اسيا البرية . والثاني يشمل الحيوانات الشمالية مثل الرنة وفحم المسك والثعلب القطبي وقد اتت اوربا من جهات سيبيريا . والثالث يشمل الاسد والنمر والقيع المرقطة وفرس النهر وقد اتت في الراجح من شمالي افريقية ومن اسيا الصغرى . ولما دخلت هذه الحيوانات اوربا انتشرت فيها حسب طبائعها فالحيوانات الشمالية انتشرت في الانحاء الشمالية وامتدت جنوباً الى جبال الالب والبرنيز والجنوبية انتشرت في اسبانيا وايطاليا والمعتدلة في فرنسا والمانيا وبلغت شمالاً ارلندا وبوركشير سنة انكلترا وامتزجت الطائفتان الشمالية والجنوبية في اواسط اوربا فترى عظامها في الكهوف التي هناك . اي ان اوربا انقسمت الى ثلاث مناطق في عصر البليستوسين المنطقة الشمالية التي انتشرت فيها الحيوانات الشمالية ولم تصلها الحيوانات الجنوبية والجنوبية التي انتشرت فيها الحيوانات الجنوبية ولم تصلها الانواع الشمالية . والمتوسط وهي ممتدة من جبال الالب والبرنيز وتعم فرنسا والمانيا وبلاد الانكليز الى بوركشير وفيها امتزجت الحيوانات الشمالية والجنوبية وعاشت

معاً في زمن واحد فالضبع المرقطة مثلاً كانت تفترس الرنة وفرس النهر اي ان الحيوانات الثلاثة كانت تعيش في مكان واحد وفي وقت واحد وهذا لا يكون الاَّ اذا كانت البلاد حارَّة صيفاً وباردة شتاء

ودخل الانسان النهري قارَّة اوربا حينئذٍ جامعاً من الجنوب كما يستدلُّ من بقاء آثاره في المنطقة الجنوبيَّة والوسطى الى حد يوركشير في بلاد الانكليز وكان في العصر الرابع (البليستوسين) منتشراً في شمالي افريقية وفلسطين وبلاد العرب وبلاد الهند وكان يستعمل فيها الادوات التي كان يستعملها في اوربا وظهر بظهور الحيوانات الجنوبية وانقرض بانقراضها وسكن اوربا في العصر الذي غطَّت فيه الجليد اعالي الجزائر البريطانية وبعد ان ارتفعت درجة الحرارة فيها وتقلَّص حدُّ الجليد عن الاماكن التي كان يغطيها . وقد وجدت آثار الانسان النهري في كهوف بلجكا وفرنسا وجبل طارق

اما آثار الانسان الكهفي فمنتشرة الى الشمال من جبال الالب والبرينيز مع آثار الحيوانات القطبية الشمالية وتوجد في فرنسا وبلجكا والمانيا بعد آثار الانسان النهري ويستدلُّ من ذلك على ان الانسان الكهفي عاش في اواخر العصر الرابع . ويرجح الآن انهُ اتى اوربا من شمالي اسيا مع الحيوانات الشمالية ثم رجع من اوربا الى شمالي اسيا معها وذلك في اواخر العصر الرابع

ولا شبهة ان العصر الرابع كان طويل المدة جدًّا وان زمن الانسان فيه كان طويلاً ايضاً وهو يقاس بما حدث فيه من الحوادث الجيولوجيَّة ونتائجها كالتغيُّر في حياة الحيوانات وتقدُّم طوائف الناس في امورهم المعاشية ولا يمكن ان يقاس بالسنين لانهُ ليس في الطبيعة مقياس دقيق يقيس العصور بالسنين . واذا جزنا عصر التاريخ صار الزمن يقاس بنتائج الحوادث الطبيعيَّة التي تحدث في الارض ويظهر بعضها بعضاً وكلما زدنا بحثاً وتدقيقاً في درس الحوادث التي حدثت في اوربا بعد وصول الانسان اليها زدنا اقتناعاً بان وصولهُ اليها اقدم من ان يقاس بالسنين . انتهى

وكل مباحث الجيولوجيين واليولوجيين تؤيد قدم الانسان على وجه البسيطة وانهُ قد مرَّ عليهِ الآن الوف كثيرة من السنين او مدد متطاولة لا تقاس بالسنين لطولها . وذلك كلهُ ينفي ان يكون الانسان قد وجد على وجه البسيطة كامل النمو والارتقاء منذ الوف قليلة من السنين الاَّ اذا خالفنا شهادة الحواس ونقضنا حقائق العلم